أعانقتَ الموت وفي روحك ظمأ إلى الحياة ، أم ودعت الحياة وفي روحك شوق إلى الموت ؟

أقبّلتَ أمّك الأرض عندما هويت إليها وقلت : « أماه ! من رحمك وإلى رحمك » ؟ أم صوّبتَ آخرَ شعاع في عينيك إلى السماء وقلت : « ربّاه من نورك وإلى نورك » ؟ أم لعنت الأرض وما عليها ومن عليها ؛ ولعنت السماء وما فيها ومن فيها ، لأنهما ما جادتا عليك بالحياة إلا لتسترجعاها منك ؟

بالله كيف لفظت آخر نحب من أنحابك ، يا أخي المجهول؟

لقد شاءت بلادك أن تكرّمك وترفعك في الموت بدل ما أهانتك وخفضتك في الحياة ، وسلبتك الحياة لتبقى لها حياتها .

وكيف ترفعك بلادك إلاّ بدفنها لك مع مشاهير البلاد ؟ أم كيف تكرمك بلادك إلا بوضعها لعظامك بجوار عظام أبطالها وأعلامها ؟

وما شرف الرقاد مع الملوك والأبطال والأعلام بالشرف الذي يستهان به يا أخي .

لذلك جاؤوا بك من الأرض التي امتصّت آخر قطرة من دمك ، ومن الحفرة التي نهش دودها آخر سريدة من لحمك وجلدك ، ليضجعوك في أرض لا تراب فيها ولا دود . وإن كان فيها تراب فهو تراب شريف لأنّه لامس هامات الملوك . وإن كان فيها دود فهو دود نبيل لأنه تغذى بلحوم النبلاء ! . .